كل عام من الحديد وحده بما تبلغ قيمته خمسة ملايين جنيه واحد عشر مليوناً من سائر المحاصيل وبهذا نمت وعظمت بعد ان كان اللورد سالسبوري من سنوات قليلة يدعوها الدولة الساقطة

ثم ان الذي ينظر الى ويلات الحروب يجد اكثرها يرتد الى منافع عظيمة فان انهزام فرنسا لدى المانيا عام ١٨٧٠ وخسارتها معها تلك الخسائر الطائلة من غرامة ورجال قد انتجتا احسن النتائج اذ تنبهت فرنسا بعد ذلك الى نفسها واخذت تلم شعثها حتى صارت جمهورية ثابتة وصارت من اغنى الممالك واوسعها متاجر وعلوماً

اما الحرب الحاضرة بين الروس واليابان فانها من المرجح ان تفضي الى مثل تلك المنافع لانه اذا قدرت الهزيمة لليابان كان ذلك نافعاً لها من حيث عرفانها بقدر نفسها فترتد عن الاستعداد للحرب والانفاق عليها من اجل المستقبل الى النظر في نفس بلادها واكثار مواردها وتوسيع متاجرها واذا قدرت الهزيمة لروسيا كان ذلك ايضاً سبب نفع اعظم لها اذ يتبدل شيء كثير من احكامها وقوانينها فتستريح شعوبها وتنمو متاجرها لان روسيا نصف اوروبا من حيث المساحة ولا يمنعها الا ذاتها من ان تكون نصفها من حيث الغنى والعلم والحرية وراحة المعيشة

سلطان المرأة في العالم

سألنا من نرى من اخص المواجب اجابة سؤالهم ان نكتب مقالة في المرأة وما لها من السلطان في العالم والقوة والتأثير على القلوب والافكار فاستوعرنا هذا الموضوع لاول نظرة وذلك لما وجدنا فيه من صعوبة المسلك ولكونه على ما نظن موضوعاً قلما جرى به قلم كاتب وقرع بابه بنان عالم وتأمله فكر باحث ولكن رغماً عن الصعوبات والعقبات التي تمثلت لدينا في بدء النظر الى هذا الموضوع والظلمة التي اكتنفت فكرنا لدى كشف نقابه فقد اوصلنا التروي والامعان الى اكتشاف نور اهتدينا بفضله الى ما نتوخاه من هذا البحث فجعلناه ركناً نبني عليه مقالتنا هذه التي نزفها الطالبها كبرهان صادق على ما نحن عليه من الاحترام والاجلال لمقامه .

ان للمرأة سلطاناً يفوق كل سلطان في الارض فهي تحكم بضعفها وتسود بلطفها وتظفر بوجلها وتبني وتهدم بواهن ارادتها . فهي لا قوة لها ولا بأس ولا بطش ولا جيوش ... الى غير ذلك من القوى الطبيعية التي تعزز الجانب وتحصن المقام ومع ذلك فلها سلطان يفوق سلطان الممالك فتسود وتأمر وتحكم وتنفذ الاحكام حيث لا تستطيع الممالك ان تسود او تحكم . وسلطان المرأة هذا ثابت في العالم وليس كسلطان الملوك معرضاً للسقوط او الاضمحلال ولا يعم سلطان المرأة الفئة الضعيفة والمتوسطة من الشعوب بل يشمل امراء الملل وعظامها وسلاطينها ولم نرَ ملكاً او عظيماً من الذين طوت ايامهم السنون وضمت جسومهم الاجداث الاوكان

فوق سلطانه سلطان امرأة كما اننا لا نخال واحداً من الذين ادهشوا العالم بباهر حكمتهم ودوخوا الممالك بقوة ارادتهم وعدد جيوشهم وسامي افتتاحاتهم الا وكان منقاداً لسلطان المرأة مطيعاً اوامرها خاضعاً لاحكامها عاملا بما تريد ولو كان ذلك مغايراً لارادته . ولنا في اثبات ما قدمناه شواهد عديدة نذكر القليل منها لكي يتسنى لنا ان نبحث في مصدر هذا السلطان ومداره ونتكلم فيما يلزمه من الاصلاح ليكون نافعاً للعمران ومفيداً للانسانية

اذا اوقفنا الفكر عن الاعصر السالفة لنرى نخبة الرجال الذين امتازوا بوافر علمهم وحكمتهم وعظيم بأسهم وواسع ملكهم وقوي سلطانهم تمثل لنا كثير منهم لو جئنا على ذكر جميعهم لضاق بنا المقام الا اننا لو ميزنا نخبة هذه النخبة لتمثل لدينا اربعة رجال نظن ان لم ينشأ على سطح الارض من ضارعهم علما وحكمة وادارة وسياسة وشجاعة وسلطاناً ومجداً معاً فنرى حكيم الاسرائيليين ونابغة الدهر سليمان ونرى بطل اليونان ونخبة رجالهم الاسكندر ونرى قائد الرومان واكبر مورخيهم وكتابهم يوليوس قيصر ونرى اخيراً رجل العصر المتأخر واعجوبة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر فخر الافرنسيين ورافع مجدهم نابوليون الاول فهولاء الاربعة الذين نالوا ما عزّ من الصفات والعلم والغنى والصولة والمجد قد صادف كل مثلما صادفه كل انسان من العامة قوة فوق قوته وصولة فوق صولته وسلطاناً فوق سلطانه الا وهو سلطان المرأة السلطان القوي السلطان الذي لا يقاوم الذي دونه كل سلطان . فسليمان الاسرائيليين الذي اشتاق اهل المغرب الى سماع فلسفته واتت ملكة التيمن من اقاصي الارض لتخبر حكمته قد ذهل عمن انزل عليه الحكمة وعمل بما يغايرها بعد ان جاهر بانها احسن ما يتمناه في

العالم اذ حكمت عليه وعلى شعبه امرأة بتقديم بخور العبادة وضحايا التقدمات لاله اجدادها وهو صنم لا حس له ولا حراك ولا فهم وهو على اعتقاد هذا الحكيم نفسه خزعبلة تداس بالاقدام وتحتقر في نظر العاقل العالم فاي سلطان اقوى من مثل هذا السلطان الذي جعل مثل هذا الحكيم ان يزدري «ولو على اعين الملا» بما هو لديه اثمن واعز شيء وهو الحكمة التي قال عنها «اريد حكمة لم تعط لمن كان قبلي ولن تعطى لمن يجيء بعدي من الناس حكمة هي لي اعز من نفسي واثمن من كل موجود» فالى هذا المبلغ من الازدراء بلغت هذه الحكمة عندما شاء سلطان المرأة

اما الاسكندر الذي دوخ العالم بفتوحه فلم يكن انقياده لسلطان امرأة اقل من انقياد سليمان اليه فهو الذي قال عن نفسه «سأطوع العالم وادوخه ارضاء لمن احب» وهي امرأة من شعبه اعجبتها بسالته فاستخدم هذه البسالة ليزيد في عينها حباً واعجاباً الى ان مات حتف انفه قبل ان يظفر بمن دعاه حبها الى جعل العالم ملعباً لحروبه وفتوحه . والقيصر الروماني بكى عندما نظر الى رأس بومبه مزاحمه وعدوه الالد وقد انتصر عليه في موقعة فارسال الشهيرة وذلك لعلمه بان لبومبه هذا صلة قربى مع امرأة كان لها على فؤاده سلطان وهذا القيصر نفسه ذهب شهيد اباحة سره لاحدى النساء وقد كانت هذه المرأة شقيقة او نسيبة لبريتس رئيس المؤامرة التي فتكت به فتكا فظيعاً

ومن شاء ان يعرف الى اي حد يبلغ سلطان المرأة على قلوب الانام فليطالع تاريخ اعجوبة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر نابوليون فيرى كيف ان هذا الرجل الذي بهر العالم بحذقه وعلمه وشجاعته ودرايته قد بكى لذله

ودرجته وجنسه اما الانسان الذي ميزته عن غيره من المخلوقات الناطقة فاعطته القوة العاقلة التي بها يستطيع ان يسود على الارض ونباتها وسباعها وحشراتها ولما كان من عظيم حكمتها حفظ النمط بتحكيم السيادة فقد اودعت في ذلك المخلوق الضعيف البنية اللطيف التركيب اللين العضلات الناعم الجسم المعروف عندنا باسم المرأة شيئاً من القوة والسلطان تسود به على الرجل لكي يقوم باعباء المهمة العظيمة التي دعته اليها تلك العلة وكلفته اتمامها في العالم وهي ولادة الانسان ذكراً وانثى الانسان العاقل ملك المخلوقات ورئيسها وسيدها . فالانسان هو ثمرة المرأة اكثر مما هو ثمرة الرجل فالمرأة تشتغل في وجود الانسان وتتعب فيه وتقاسي لاجله اوجاعاً لا يستطيع الرجل ان يتصورها او يفقه معظمها . ولما كانت مهمة المرأة عظيمة وكان تركيبها ضعيفاً لا تصان به مهمتها فقد لزم ان توجد العلة فيها سراً عظيماً تسود به على الرجل وتجعل الرجل مسترسلاً الى الدعة بجانبها وذلك واجب وعدل ما دامت مهمتها اعظم من مهمته . اوجد الله فيها شيئاً يميل الرجل من طبعه اليه وقوة يحترمها كل رجل ويجلها كل مخلوق وجعل لها سلطاناً يعم الرجال دون استثناء مهما عظمت صولتهم وحكمتهم وعلومهم وعقولهم ومنزلتهم وحالتهم .

فسلطان المرأة ينشأ من العلة الموجودة لا من سواها كما قدمنا فهو اذن حق طبيعي ومقدس وعدل ومن اللازم ان يستوي لديه الرجال اجمع على تباين احوالهم ويتناول الذكور في جميع اطوار حياتهم في حداثتهم فشيبتهم فرجوليتهم ومثل ذلك ما يسهل علينا اثباته كما يسهل فهمه وتدبره على من يتروى ويمعن النظر في الامر فالصبي لا يعرف سلطاناً عليه مثل سلطان امه فهي تسوسه وتربيه وتقوّم اعوجاجه تأمره فيصدع بامرها

عندما باح بحبه لجوزيفين فصادف منها اعراضاً وعندما سمع منها قولها « لا ارضى بك بعلاً » قول لم تكن اهوال موقعة واترلو شيئاً بالنسبة الى شدة وقعه في نفس ذلك البطل ومن تتبع تاريخه معها يرى اكثر من ذلك من حكم سلطانها عليه اما هي فقد فازت رغماً عن الوشايات والفتن والتهم التي اوقعها اقارب زوجها بها ونالت التاج الامبراطوري رغماً عن ارادة نابوليون نفسه وفي ايام هجرها وطلاقها الذي حكمت به الظروف لم يكن فكر نابوليون وقلبه الا ككرة بين يديها تلعب بها كيف شاءت .

فهذا هو سلطان المرأة على افكار اكبر رجال العالم . وعلى سلطان اولئك النساء على قلوب هولاء الرجال العظام نقيس سلطان كل امرأة على قلب كل رجل ومثل هذا لا يصعب علينا فهمه وادراك شاؤه مادمنا نشعر ونعلم ان قلب الانسان وفكره ناقصان بدون المرأة لا بل هما الة تديرها المرأة ودوارة تتجه الى حيث تشاء اهواء المرأة وحيث ذلك فلا يكثر بان للمرأة سلطاناً عظيماً يغلب كل قوة ولننظر الان الى مصدر هذا السلطان ومضاره ومنافعه واضراره وما يجب تلافيه لكي يكون نافعاً مفيداً في العالم .

ان العلة التي اوجدت العالم قد دعت المرأة الى مهمة عظيمة مهمة لم يكن اكمل منها مهمة يتوقف عليها قيام الكون وعمرانه « وهي ان تكون اماً لكل مخلوق » ولا جرم ان علة الوجود ذات الحكمة الغير المتناهية قد اعطت كلاً من المخلوقات القوة والطبع اللازمين والمفيدين للمهمة التي انتدبته لاجلها فاعطت الاسود قوة السلطان على غيرها لتحفظ بها وجودها واعطت الثعلب السيادة على الارنب والارنب السيادة على الطير والطير السيادة على الحشرات وهكذا اعطت الحشرات السيادة على بعضها كل بحسب طبعه

وتفهمه قوة سلطانها عليه فيحترم هذا السلطان ويجله ويحبه ويطيعه طاعة عمياء طاعة تامة بلا اعتراض وممانعة ولئن يرى سلطاناً اخر كسلطان والده ومؤدبه فلا يعتبر هذا السلطان اكبر من سلطان امه التي تلده ويبقى من حين يدب الى حين يشب يرى كل يوم ضرباً من عنايتها ولذة من حنانها فيفقه عظيم فضلها وجميل صنعها وذلك ما يحدوه على ان يطيعها الطاعة الكاملة الممزوجة بالحب والاحترام في حين يطيع والده ومؤدبه طاعة مكلفة ممزوجة بالخوف ولا شك بان من يطيع حباً افضل ممن يطيع خوفاً اذ ان طاعة الحب حقيقية كاملة ثابتة وطاعة الخوف كاذبة موسسة على الوهم الباطل فاذا ما زال الوهم بطلت . فمن ينكر قولنا هذا وكلنا قد عرف بالاختبار سلطان الام في زمن الحداثة واطاعها طاعة الحب الطاعة الكاملة الحقيقية التي ليس فوقها طاعة .

وهكذا يكون الذكر مذعناً لسلطان الام في حداثته فيكبر ثم يكبر حتى اذا ما بلغ الشباب احس بدافع في قلبه يدفعه الى المرأة فينظر اليها نظرة تولد في فؤاده تأثيراً شديداً يؤدي بذلك القلب الى القلق والخفقان فيشعر لاول مرة بسلطان المرأة ويرى في ربات الغنج والدلال ما يخلب لبه ويحل فكره وقلبه فيئن تحت وقر هذا السلطان وينقاد اليه ويسلك سبله ويحيا تحت ظله ويتعلم اصوله وطرقه الى ان تمخض له الاقدار حظاً لبث لبانته وبسط مطمحه فيبوح بامره لمن يحب وما يكاد يكشف ما كتم حتى يتحول من حال الى حال فيكون فتىً بشوشاً قرير العين خلي البال كثير الضحك يحب الانبساط فيصير جافي الطبع عبوساً مفكراً تتقاذفه امواج الاضطراب وتلعب به اهواء الغرام فينتقل من الفرح الى الحزن ومن الحزن الى الفرح ومن الامل الى اليأس ومن اليأس الى الامل على حد ما تتقاضاه ظروف حبه

واحوال حبيبته وحسبما يصادفه من الوصل والجفاء وسواء كان هذا او ذاك فيكون قد دخل دائرة الحب حيث لا آمر ولا سائد سوى المرأة فيصنع ما تريد المرأة ويتمتع بما تسمح به المرأة ويتألم مما تحكم به المرأة فهو بقبضة المرأة وتحت امرتها وسلطانها رضي بذلك او لم يرض ما دام امر دخوله في تلك الدائرة حكماً طبيعياً محتوماً عليه وعلى من كان من جنسه وفي هذا الدور من ادوار حياة الذكر يظهر سلطان المرأة في منتهى قوته وكمال مفاعيله ولنا من الاختبار العام وادراك الحقيقة ما يغنينا عن ذكر ادلة الاثبات ويوفر علينا الاسهاب في هذا الصدد .

وليس مدار سلطان المرأة على الذكر في دوري الحداثة والشبيبة فقط بل يتناول الدور الثالث من حياته ايضاً وهو دور الرجولية الذي لا يعقبه سوى الكهولة وهو الزمن الذي فيه تأخذ قوى الرجل الطبيعية والعقلية بالتناقص التدريجي وتهوي حياته الى الذبول والانحطاط الى ان تضمحل وينتهي الى اللحد منتهى كل بشر .

ففي الرجولية التي فيها يكون الرجل على الغالب ملازماً للمرأة يرى من سلطانها ما لا يقل عنه في دوري حداثته وشبيبته فهي لم تعد اماً ولدته فحق لها السلطان عليه ولا رعبوبة ملكت فؤاده فاسرته بل شطراً معنوياً من جسمه وجزءاً كبيراً من شرفه وشريكاً له في سعادته وشقائه ورفيقاً يشاطره سراءه وضراءه ومستودعاً لسره وامیناً على ما يملك من عزيز ونفيس وفي تلك الحال يندفع الرجل الى عالم الاشغال فيجاهد ويكابد فتارة يسعد وطوراً يشقى في كسب رزقه ورزق زوجته ليكون له من ذلك ما يسهل لهما الحياة ويغنيهما عن وفرة الاهتمام وهو يشعر بان هذا المخلوق اللطيف لا تتحمل

طبيعته عناء وشقاء غير ما حصرته فيه الطبيعة من عناء الولادة وتربية البنين وادارة المنزل وهو حري بان يلجأ الى الراحة فيما خلا ذلك واذ ذاك يعلم الرجل ايضاً ان فرضاً عليه خدمته ومعاناة الشقاء ليخفف عن المرأة ما يستطيع تخفيفه من التعب والنصب فلا يكون الرجل بعمله هذا سوى الة اقامتها الطبيعة او علة العلل لخدمة المرأة بل عاملا جعل لينظر في ما ينيل المرأة من اسباب الراحة والرفاهية هذا فضلا عن عظيم سلطانها على اخلاقه وفؤاده وعظيم تأثيرها على افكاره حتى بات من الحقائق الراهنة ان الرجل يقتبس من اخلاق زوجته اكثر مما تقتبس من اخلاقه . ثم ان الدائرة التي تضم الزوجين وتجمعهما معاً في الغالب هي المنزل وفيه يكون الرجل تحت سلطة المرأة وهي ربة المنزل ومن اللازم ان تكون سيادتها فيه فوق سيادة الرجل ولم تخول المرأة مثل هذا الحق بحكم المدنية فقط بل كان الناس جميعهم في كل عهد ودور يقرون لها بهذا الحق الى ان زادت المدنية حقوقها فخصتها بالتقدم على الرجل انىّ كان وحيث ذهب وخولتها السلطان عليه في ما يدخل ضمن الشروط التي قيدت بها الطبيعة والمدنية سلطانها وهذا نأتي على بيانه الان وهو ما يجعل سلطان المرأة مفيداً ونافعاً للعمران .

اما وقد رأينا ان للمراة سلطاناً عظيماً على الرجل يتناول جميع ادوار حياته فلنأت الان على تبيان الشروط التي يجب ان يكون مقيداً بها هذا السلطان .

سلطان المرأة يتقيد بشروط عديدة يمكن حصرها في ثلاثة اشياء وهي صيانة العرض والوداعة ونزاهة الارادة فهذه الشروط وان كانت تقيد سلطان المرأة فهي مع ذلك تزيد في رونقه وتقويه وترفع شأنه . فالمرأة سواء

كانت فتاة او زوجة مؤتمنة على اشرف شيء ينتمي لوالديها ان كانت فتاة ويختص ببعلها ان كانت ذات بعل وهذا الشيء هو عرضها بل عرض من تنتمي اليه فمن العدل والحق والواجب ان تحفظه كل الحفظ وتصونه باكمل شروط الصون والعفاف وذلك مقابلة لما لوالديها عليها من فضل ايجادها وتربيتها ومقابلة لاتعاب ومشاق الزوج الذي اقامته الطبيعة مدافعاً عنها وخادماً يشتغل في سبيل راحتها واسباب هنائها . اما الفتاة والمرأة اللتان تعرضان بعرضهما الى المخاطر وتنفذان احكام سلطانهما الطبيعي خارج الدائرة التي اوجدت الطبيعة فيها هذا السلطان فكلتاهما شيطان يسود في عالم الشر ويمرح في فيافي العار والاثم ويشتغل في هدم اركان العمران ونقض دعائم الشرائع والشرف ودك قوائم الانسانية والمدنية الحقة فضلاً عن ان مثل ذلك يقلل من سلطان النساء ومن الثقة بهن فيهوين الى احط درجات الذل والهوان اذ ان شرف المرأة يرقي منزلتها وصيانة عرضها تزيد في سلطانها فتحكم على القلوب والافكار وتفعل بها ما لا تفعله ذات الفجور التي تبيع عرضها وشرفها بيع السلع الساقطة والمتاع الذي لا قيمة له فصيانة العرض اذن هو الاساس الثابت المتين الذي عليه يجب ان تقيم المرأة مجدها وعزها وواسع سلطانها فتفيد وتستفيد وتجمل وتكمل .

اما الوداعة في اخلاق المرأة فاكبر مساعد لها على القيام بفروضها الزوجية وخير معين لها على انجاز المهمة التي انتدبتها الطبيعة اليها فالمرأة الوديعة هي الابنة الفاضلة والفتاة الاديبة والعقيلة الصالحة والايم المحصنة والام الصبور والطويلة الاناة على تربية البنين . فالوداعة هي جمال المرأة وزينتها الثمينة الفاخرة وهي الحلة التي تعلي مقام المرأة بين الناس وكم امراة

قد فعلت بوداعتها اكثر مما تفعله بعقلها وبجمالها . فالكبرياء لا تليق بالمرأة وهي رقيقة الفؤاد لطيفة التركيب بل هي شأن الرجال ذوي الاجسام الصلبة والتركيب المتين فالمرأة تسود بضعفها وبلطفها لا بعجبها وخيلائها على ان الوداعة شعار اللطف وقاعدة الضعف والمرأة الغير الوديعة هي المرأة ذات الزهو التي تتخلق بغير خلقها وتكون لدى الملا موضوع هزء وازدراء . فلو كان النساء جميعهن وديعات لنزعن من قلوب الرجال الكبرياء والعجرفة والقساوة التي يمتاز بها جنسهم ولحولن طباعهم الى غيرها ولاصلحن من عوائدهم كل ما مال الى الفساد ولاكسبنهم الخلال التي تنفع الانسانية وتزيد العمران عمراناً والحياة رونقاً وبهاء

اما الشرط الثالث وهو نزاهة الارادة فيقوم بان لا تريد المرأة اكثر مما تسمح به احوال المحيط الذي تعيش فيه كأن لا تطلب من ابيها او بعلها من مواد العيش ما هو فوق استطاعة الاب والزوج وكأن لا تصبو الى مايفقدها حنان هذا الاب وثقة هذا الزوج كأن لا تريد ما لا يريده ابوها او زوجها فيما كان من حق الاب والزوج ان يتم ارادته فيه . فالمرأة التي تكون ارادتها نزيهة هي المرأة الفاضلة السعيدة المرأة التي تعيش على وفاق تام مع والديها وزوجها وتجذب قلوب الوالدين والزوج الى محبتها واكرامها وتحرز منهم ومن جميع عارفيها ابهى وازكى ازهار المديح والثناء .

فلو كانت كل امرأة في العالم على ما قدمناه من صيانة العرض والوداعة ونزاهة الارادة لما كان العالم على ما هو عليه الان من البلبلة والاضطراب والانقسام بل كان سائداً فيه السكون مستتباً فيه الامن حيث تندثر المفاسد وتبطل الغواية وتصلح الاخلاق وتكمل المدنية والحضارة وتعم السعادة بني

الانسان اجمعين . في مثل ذلك الزمن يحيي العالم باسره سلطان المرأة ام الانسانية ومصدرها وممثلتها تحية الاحترام والاجلال تحية الحب والاخلاص تحية الطاعة والخضوع فعسى ان ينتبه النساء الى ذلك وينضممن الى ايقاف ثورة الحروب الحاضرة بقوة سلطانهن ويتحدن لاجل هذه الغاية تحت جمعية المرأة للسلام فيوآزرن في الخارج رئيساتها وفي هذا القطر ممثلتها ورئيستها حضرة السيدة الفاضلة صاحبة هذه المجلة التي وقفت نفسها وكل نفيس لديها على الاداب وهي تدأب في خدمة بنات جنسها في الشرق حتى ادركت فرع المجد والفخر واستحقت ايات المدح والثناء .

حبيب المعوشي

مجلة الضياء

وابو عبادة البحتري

بقلم حضرة الكاتب الاديب حنا افندي سركيس

فرغت مجلة الضياء الغراء من فصل انيق شائق تابعت نشره فيها شهوراً وهو عن الشاعر المبدع المجيد ابي عباده البحتري صاحب سلاسل الذهب وسموط اللآلي . والفصل المشار اليه مدبج ببراع حضرة صديقنا امين الحداد الذي نظر الى شعر هذا الشاعر نظراً عميقاً وتكلم عنه باصدق ما يؤدى به حق شاعر حقيقي كالبحتري . على ان الكلام على هذا الشاعر لم يكن نقلاً لشعره فقط ولا انتخاباً لحسناته ولا بياناً لوجوه الافضلية فيه كما هو مذهب